مقال رأي

مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Studies and Planning

تفكك حلف شمال الأطلسي- الناتو
خطأ استراتيجي تفادته الولايات المتحدة بعد الحرب الباردة

هشام قدري أحمد

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Studies and Planning

تفكك حلف شمال الأطلسي- الناتو: خطأ استراتيجي تفادته الولايات المتحدة بعد الحرب الباردة

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط/ قسم الابحاث / الدراسات السياسية

الاصدار / مقال راي

الموضوع / شؤون إقليمية ودولية

هشام قدري أحمد/ باحث ماجستير، كلية السياسة والاقتصاد- جامعة السويس

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌ، غيرُ ربحيٍّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عملية جليّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنّما تعبّر عن رأي كتابِها.

حقوق النشر محفوظة © 2024

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org
Since 2014

المقدمة

نشأ حلف شمال الأطلسي North Atlantic Treaty Organization، أو كما يُعرف اختصاراً بـ «الناتو NATO»، بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وتحديداً في أبريل/ نيسان 1949، عندما وقعت اثنتا عشرة دولةً (الولايات المتحدة الأمريكية وكندا، بالإضافة إلى 10 دول أوروبية) معاهدة حلف شمال الأطلسي في واشنطن. وجاء تدشين الحلف كنتيجةٍ مباشرة لانهيار التحالف الكبير الذي جمع الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي خلال الحرب العالمية الثانية بهدف القضاء على النازية وإلحاق الهزيمة بدول المحور، وما استتبع هذا الانهيار من تصاعد العداء الإيديولوجي وتنافر المصالح السياسية والاقتصادية بين الكتلة الشرقية (الاشتراكية)بقيادة الاتحاد السوفياتي، والكتلة الغربية (الرأسمالية) وتتزعمها الولايات المتحدة في سياق ما بات يُعرف بالحرب الباردة. حيث كان الهدف الرئيس من تأسيس الحلف، محاولة التصدي للتمدد الشيوعي في أوروبا، سيما وأن الأقطاب الأوروبية الكبرى، وبخاصة فرنسا والمملكة المتحدة، قد استُنزفت اقتصادياً وعسكرياً خلال الحرب، ولم يعد بمقدورها مواجهة الأطماع السوفيتية، إلا من خلال إيجاد تحالف عسكري يجمع بين هذه الأقطاب والولايات المتحدة الأمريكية تحت مظلة واحدة.

وبموجب المادة الثالثة من المعاهدة المنشئة للحلف، فإنه في سبيل تحقيق أهداف المعاهدة بصورة أكثر فعالية، ستعمل الأطراف بصورةٍ فردية أو جماعية على الحفاظ على امكاناتها العسكرية الفردية والمشتركة وتطويرها لمواجهة أي هجمات مُسلحة، من خلال المساعدة المستمرة والفعالة، سواءً المساعدة الذاتية أو المتبادلة.

أما المادة الخامسة، والتي تعتبر حجر الزاوية في ميثاق الحلف، فنصّت على أنه في حالة شن أي عدوان مسلح ضد واحد أو أكثر منها في أوروبا أو أمريكا الشمالية، فإن ذلك يعتبر عدواناً ضدها جميعاً، وعليه تتفق الأطراف على أنه في حالة وقوع مثل هذا العدوان المسلح، فإن على كل طرف منها، تنفيذاً لما جاء في «المادة 51» من ميثاق الأمم المتحدة المتمثل في حق الدفاع عن النفس بشكل فردي أو جماعي، تقديم المساندة والعون للطرف، أو الأطراف، التي تتعرض للهجوم، باتخاذ الإجراءات الذاتية، بالتعاون مع الأطراف الأخرى، دون تأخير. بما في ذلك استخدام قوة السلاح، التي يرى أنها لازمة لإعادة الأمن، إلى منطقة شمال الأطلسي، وتأكيده. ويتم إبلاغ مجلس الأمن،

دون تأخير، بكل هجوم وعدوان مسلح، وكل الإجراءات المضادة المتخذة تجاهه. ويتم وقف الإجراءات، بمجرد اتخاذ مجلس الأمن للخطوات الضرورية، لإعادة السلام والأمن الدوليين.[1]

بانتهاء الحرب الباردة وانفراط عقد الاتحاد السوفيتي والكتلة الاشتراكية، أثيرت بعض التساؤلات حول جدوى بقاء الحلف والهدف من استمراريته، سيما وقد انتفت الأسباب الباعثة على وجودة، من منطلق أن هزيمة الشيوعية وانهيار حلف وارسو العسكري المناوئ للناتو يقتضي بدوره تفكيك حلف الناتو إيذاناً ببدء مرحلة جديدة في العلاقات الدولية وطي مرحلة الحرب الباردة، إلا أن الحلف ظل قائماً رغم ذلك، مُظهراً قدرته على التكيف مع الظروف والمتغيرات الدولية الجديدة التي أفرزتها مرحلة الأحادية القطبية، بل إنه أخذ يوسع حدوده باتجاه شرق أوروبا ليضم إليه دولاً جديدة، كانت حتى وقت قريب جزءاً من الفضاء السوفيتي، مثل بولندا ودول البلطيق.

التمدد الأزرق: عشر موجات من توسع الناتو شرقاً

مرت عملية توسع حلف شمال الأطلسي (الناتو)، منذ تأسيسه قبل خمسة وسبعين عاماً حتى اليوم، بعشر موجات (مراحل). جاءت المرحلة/ الموجة الأولى في الرابع من نيسان/ أبريل من عام 1949 عندما وقعت اثنتا عشرة دولة معاهدة الحلف في مدينة واشنطن الأمريكية؛ ضمت عشرة دول في غرب أوروبا بالإضافة إلى الولايات المتحدة، وكندا من أمريكا الشمالية.

بعد ذلك بثلاث سنوات، في شباط/ فبراير 1952 تحديداً، شهد الحلف الموجة الثانية عندما التحقت بقاطرته كُل من تركيا، وجمهورية اليونان. ثم جاءت الموجة الثالثة عام 1955 بانضمام ألمانيا الغربية. رداً على ذلك، شرع الاتحاد السوفيتي وحلفاؤه في تدشين حلف عسكري موازي للناتو، عُرف بـ»حلف وارسو»، نسبةً إلى العاصمة البولندية التي اختيرت مقراً دائماً للحلف الشيوعي.

ظلت أبواب الناتو مُغلقةً منذ انتساب ألمانيا، ولم تشهد عضوية الحلف أي تغيير لنحو 27 عاماً، لكن بحلول أيار/ مايو من عام 1982 أعلنت إسبانيا انضمامها إلى معقل الحلف الأطلسي باعتبارها العضو الـ16، وذلك بعد انتهاء حكم الجنرال «فرانكو» الذي كان ينتهج الحياد في سياسته الخارجية.

1 جينيفر ميدكالف، حلف الناتو، ترجمة: قسم الترجمة بدار الفاروق، الجيزة، دار الفاروق للاستثمارات الثقافية، 2009، ص310.

وجاءت الموجه الخامسة من توسع الحلف بعد نهاية الحرب الباردة وانفراط عقد الاتحاد السوفيتي ومعه حلف وارسو، حين أعلنت ثلاث دول في وسط وشرق أوروبا انضمامها رسمياً للناتو في آذار/ مارس 1999، وهي المجر، والتشيك، إضافةً إلى بولندا.

وشهد الحلف أكبر موجة انضمام، خلافاً لمرحلة التأسيس، في آذار/ مارس 2004، حيث استقطب الحلف إلى عضويته سبع جمهوريات من شرق أوروبا دفعةً واحدةً، من بينها جمهوريات البلطيق الثلاث (إستونيا، لاتفيا، وليتوانيا) التي كانت تُشكل حتى وقت قريب جزءاً من نسيج الاتحاد السوفيتي.

واستمراراً لسياسة التوسع شرقاً، جاءت الموجتان السابعة والثامنة باتجاه منطقة البلقان في جنوب شرقي أوروبا، حيث ضمت الموجة السابعة جمهوريتي كرواتيا وألبانيا عام 2009، أما الموجة الثامنة فضمت جمهورية الجبل الأسود عام 2017، وهي آخر الجمهوريات المستقلة المعترف بها في أوروبا، بعد انفصالها عن صربيا عام 2006.

فيما جاءت الموجة التاسعة في آذار/ مارس 2020، عندما أعلنت جمهورية مقدونيا الشمالية انضمامها رسمياً إلى الناتو لتكون بذلك العضو الـ 30. جاءت هذه الخطوة المقدونيّة بعد مُفاوضات شاقة خاضتها حكومتها مع اليونان، توجت أخيراً باتفاق بين البلدين يقضي بتغير مقدونيا اسمها إلى «مقدونيا الشمالية» تمييزاً لها عن مدينة مقدونيا اليونانية.

وأخيراً، دفعت الحرب الروسية الأوكرانية، التي اندلعت في الرابع والعشرين من فبراير 2022، دول الجوار الروسي، وتحديداً فنلندا والسويد، إلى إعادة التفكير في سياستهما الخارجية القائمة على الحياد العسكري، حيث أعلنت الدولتان عن رغبتهما في نيل عضوية الحلف بعد نحو شهرين من اندلاع الصراع، ليُعلن الحلف انضمام فنلندا إليه بتاريخ الرابع من أبريل 2023، الذي يوافق الذكرى السنوية لتأسيسه. وفي السابع من آذار/ مارس 2024، تسلمت السويد رسمياً وثائق انضمامها إلى الحلف الأطلسي، باعتبارها العضو الـ 32 فيه. وترتيباً على انضمام فنلندا إلى حلف الناتو، سيُصبح لدى هذا الأخير، بقدراته التقليدية والنووية، حدوداً برية مُشتركةً مع روسيا تمتد لمسافة تزيد عن 1300 كيلو متراً (وهي طول الحدود الروسية الفنلندية)، الأمر الذي يفرض على القيادة الروسية أعباءً استراتيجية إضافية قوامها تعزيز قدراتها الدفاعية وتكثيف انتشارها العسكري على طول الحدود الجديدة، وبالتالي زيادة الأعباء الاقتصادية على كاهل الدولة الروسية، التي يُعاني اقتصادها أساساً بفعل الحرب الأوكرانية وتحت وطأة العقوبات الغربية.

م	الدولة	تاريخ انضمامها	م	الدولة	تاريخ انضمامها
1	بريطانيا العظمى	أبريل 1949	17	التشيك	مارس 1999
2	الولايات المتحدة	أبريل 1949	18	المجر	مارس 1999
3	فرنسا	أبريل 1949	19	بولندا	مارس 1999
4	بلجيكا	أبريل 1949	20	استونيا	مارس 2004
5	هولنـــدا	أبريل 1949	21	لاتفيا	مارس 2004م
6	لوكسمبورغ	أبريل 1949	22	ليتوانيا	مارس 2004
7	ايطاليا	أبريل 1949	23	رومانيا	مارس 2004
8	كنـــدا	أبريل 1949	24	بلغاريا	مارس 2004
9	الدنمارك	أبريل 1949	25	سلوفينيا	مارس 2004
10	أيسلنـدا	أبريل 1949	26	سلوفاكيا	مارس 2004
11	النرويج	أبريل 1949	27	ألبانيا	أبريل 2009
12	البرتغـال	أبريل 1949	28	كرواتيا	أبريل 2009
13	تركيا	فبراير 1952	29	الجبل الأسود	يونيو 2017
14	اليونـان	فبراير 1952	30	مقدونيا الشمالية	مارس 2020
15	ألمانيا الاتحادية	مايو 1955	31	فنلندا	أبريل 2023
16	اسبانيا	مايو 1982	32	السويد	مارس 2024

تطور العضوية في حلف شمال الأطلسي «الناتو» بين عامي 1949- 2024

المصدر: هشام قدري، العلاقات الدولية: موضوعات وقضايا مختارة، الإسكندرية، مكتبة الوفاء القانونية، 2024، ص374.

بوادر أزمة... البحث عن جيش أوروبي موازي للناتو

قبل ست سنوات، وتحديداً عام 2018، دعا الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون Emmanuel Macron، إلى إنشاء جيش أوروبي موحد، موازي للناتو، يأخذ على عاتقه مسؤولية تعزيز أمن القارة الأوروبية ضد مصادر الخطر التي تتهددها سواءً من جانب روسيا أو الصين، أو حتى الولايات المُتحدة نفسها، بما يساعد الأوروبيين على توفير الحماية لأنفسهم بعيداً عن مظلة الحماية الأمريكية. إلا أن دول الاتحاد الأوروبي لم تظهر حماسةً لهذه المبادرة الفرنسية، باستثناء ألمانيا التي أظهرت تأييداً نسبياً لها. وقد لاقت هذه الدعوة الماكرونية استياءً شديداً من جانب الولايات المتحدة، حيث دعا الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب Don-ald Trump، فرنسا ودول أوروبا الأطراف في الحلف إلى الالتزام أولاً بتعهداتها حول زيادة نفقاتها الدفاعية في ميزانية الحلف إلى النسبة المُتفق عليها وهي ٢٪ من إجمالي الناتج المحلي لكل عضو، بدلاً من التفكير في بناء جيش أوروبي لا قيمة له[2]، ولم يكن هذا المقترح الفرنسي بإنشاء جيش أوروبي موحد محاولةً لإضعاف الدور الأمريكي المهيمن على القرار الأوروبي فقط، وإنما كان ينظر إليه على أنه مؤشر لتراجع دور حلف شمال الأطلسي وايذاناً بدخوله مرحلةً من التجمد الوظيفي، إلا أن اندلاع الحرب الروسية الأوكرانية في فبراير 2022، بدد هذه المخاوف بشأن الحلف وأعطى الحلفاء دافعاً قوياً لأهمية استمراريته.

روسيا في ظل المفهوم الاستراتيجي الجديد للناتو: من الشراكة إلى التهديد

بعد أربعة أشهر على بداية الغزو الروسي لأوكرانيا، وتحديداً في يونيو 2022، صادق قادة حلف شمال الأطلسي «الناتو» خلال اجتماعاتهم بالعاصمة الإسبانية مدريد على وثيقة المفهوم الاستراتيجي الجديد للحلف، وتضمنت الوثيقة المهام والأهداف الأساسية للحلف ورؤيته للبيئة الأمنية الدولية للسنوات العشر المقبلة. وجاء الإعلان عن وثيقة المفهوم الاستراتيجي الجديد للحلف استجابةً للتطورات الأمنية والواقع السياسي الجديد الذي فرضه الغزو الروسي لأوكرانيا. وتعد هذه الوثيقة الأولى من نوعها منذ أكثر من عشر سنوات عندما أطلق الحلف وثيقة المفهوم الاستراتيجي لعام 2010 في العاصمة البرتغالية لشبونة.

لم يكن حلف الناتو ينظر إلى روسيا بوصفها تهديداً حقيقياً خلال العقدين اللذين أعقبا نهاية الحرب الباردة (1990- 2010)

2 هشام قدري، الدائمون الخمسة: مجلس الأمن بين هيمنة القوى الكبرى وفرص الإصلاح، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2024، ص182.

بعد أن فقدت الكثير من نفوذها وتراجعت مكانتها كقوة عظمى على المسرح الدولي وبعد أن أبدت موسكو مرونةً كبيرةً تجاه مسألة توسع الناتو شرقاً. فمع نهاية الحرب الباردة بدأ حلف الناتو في تطوير سياسة جديدة تجاه روسيا تقوم على الشراكة والتعاون عوضاً عن التنافس الأمني، وقد أفضت جهود الحلف في هذا الصدد إلى انضمام روسيا إلى برنامج الشراكة من أجل السلام الذي أطلقه الحلف بداية تسعينيات القرن الماضي بهدف بناء علاقات جديدة من الثقة بين الحلف ودول الاتحاد السوفياتي السابق، تبع ذلك تأسيس مجلس روسيا- الناتو عام 2002 بهدف تعزيز التعاون بين الطرفين في المجالات الأمنية المشتركة.[3]

إلا أن هذا المنظور الأطلسي للدور الروسي قد تغير في أعقاب الهجوم الروسي على أوكرانيا في فبراير 2022، وقد انعكس ذلك على صياغة المفهوم الاستراتيجي الجديد للحلف، فلم تعد روسيا تبعاً لهذا المفهوم شريكاً أمنياً للناتو، بل تحولت إلى أكبر وأهم تهديد مباشر لأمن الحلفاء وللسلام والاستقرار في المنطقة الأطلسية- الأوروبية. إذ يرى الحلف أن روسيا تسعى إلى إقامة مناطق نفوذ وسيطرة مباشرة باستخدام وسائل الإكراه والتخريب والعدوان، وأن الموقف العسكري لروسيا وخطابها العدائي واستعداداتها لاستخدام القوة لتحقيق أهدافها السياسية يهدد بتقويض استقرار وأمن النظام الدولي. ويشير الحلف في مفهومه الاستراتيجي الجديد إلى أن تحديث موسكو لقدراتها النووية، وتطوير أنظمة إيصال جديدة إنما يهدف إلى زعزعة استقرار دول الحلفاء، كما أن استمرار القيادة الروسية في سياسة الحشد العسكري خاصة في مناطق البلطيق والبحر الأسود والبحر الأبيض المتوسط، بالإضافة إلى تحالفها عسكرياً مع بيلاروسيا المجاورة لها، يُمثل تهديداً مباشراً لدول الحلف وشركائه[4].

بالرغم من ذلك، فإن الحلف، كما ورد في وثيقة المفهوم الاستراتيجي الجديد، لا يسعى إلى الدخول في مواجهة مع روسيا ولا يشكل تهديداً لها، لكنه سيواصل الرد على التهديدات والأعمال العدائية الروسية من خلال تعزيز قدرات الردع والدفاع لجميع الحلفاء، ودعم شركاء الناتو في مواجهة السلوك العدواني لروسيا.[5]

3 هشام قدري، العلاقات الدولية: موضوعات وقضايا مختارة، مرجع سابق، ص401.

4 NATO 2022 strategic concept. Available on:
https://www.nato.int/nato_static_fl2014/assets/pdf/2022/6/pdf/290622-strategic-concept.pdf

5 Ib. id.

تكشف القراءة السابقة لموقف الناتو من روسيا في ظل المفهوم الاستراتيجي الجديد للحلف، أن موسكو عادت لتشكل من جديد خصماً استراتيجياً للناتو بعدما استعادت عافيتها الاقتصادية وتبوأت مكانتها كلاعب رئيس على الساحة الدولية يسعى إلى مواجهة الأحادية الأمريكية والعمل على خلق نظام دولي جديد متعدد القوى يسمح لها بهامش أوسع من المناورة. ولقد أظهر سلوكها العدواني تجاه أوكرانيا أنها لن تتوانى عن تفعيل كافة الخيارات الممكنة لتحقيق مصالح أمنها القومي ودفع الناتو بعيداً عن حدودها، بما في ذلك استعمال القوة المسلحة والتهديد باستخدام السلاح النووي.

تفكك الناتو... خطأ استراتيجي تفادته الولايات المتحدة بعد الحرب الباردة

مع انتهاء الحرب الباردة وزوال الصراع الإيديولوجي بانتصار الرأسمالية الغربية، كان لدى الولايات المتحدة الأمريكية عديد من الأسباب المنطقية التي تدفعها إلى تجميد حلف شمال الأطلسي (الناتو) أو تفكيكه، فإلى جانب أنها القوة التي خرجت مزهوةً بالانتصار من الحرب الباردة وانفردت بقيادة النظام الدولي الجديد، فإن الخطر الرئيس الذي تأسس الحلف لمواجهته بعد الحرب العالمية الثانية لم يعد قائماً (الاتحاد السوفيتي والتمدد الشيوعي) وبالتالي ليس هناك مبرر لوجوده بعد الآن. ولو أن الولايات المتحدة اتخذت هذا القرار حينذاك، لكان يُنظر إليه اليوم على أنه أكبر خطأ استراتيجي ارتكبته الإدارة الأمريكية في فترة الأحادية القطبية.

وقد يتصدى البعض لهذا الادعاء بقولهم إن وجود حلف الناتو اليوم، ومحاولاته التوسعية في شرق أوروبا، هو الذي فاقم الوضع، وزاد من احتداد المنافسة الأمنية في هذه المنطقة، وأفضى في النهاية إلى انفجار الحرب الروسية- الأوكرانية، وأنه لو لم يكن الحلف قائماً لما وصلت العلاقات بين روسيا والغرب إلى هذه المرحلة من التدهور.

ويمكن الرد على هذه الفرضية بالقول إن حلف شمال الأطلسي لا يُمثل سوى شكلاً واحداً من أشكال التعاون بين الدول الغربية (أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية) وهو التعاون العسكري بطبيعة الحال. وإذا افترضنا عدم وجود الحلف، فإن محاولات أوكرانيا الرامية إلى الاستدارة غرباً، عبر تطويرها علاقات اقتصادية وسياسية مع القوى الغربية، نتيجة لما تعانيه من تخبط اقتصادي، كان سيُنظر إليها من جانب روسيا باعتبارها تهديداً لأمنها وتقويضاً لنفوذها، وبالتالي كان اللجوء إلى استخدام القوة الصلبة، متمثلاً في الغزو العسكري، ليُصبح الخيار الذي تنتهجه موسكو لردع هذه المحاولات، وربما كان استعمال هذه القوة ليتجاوز

أوكرانيا وصولاً إلى دول أخرى في شرق أوروبا، مثل بولندا، ودول البلطيق، في حال لم تكن هذه الدول جزءاً من الحلف، ومن ثم يمكن القول، إنه منذ انتهاء الحرب الباردة لم يواجه حلف الناتو اختباراً حقيقياً أو خطراً وجودياً حتى قررت روسيا أن تندفع بقواتها نحو أوكرانيا في محاولة منها لتغيير الحدود السياسية في أوروبا بالقوة، لتخلق بذلك مبرراً كافياً لتأمين استمرارية الحلف، ودافعاً لتجاوز الخلافات السياسية بين أقطابه وتكثيف الجهود بغرض إعادة تنشيطه ورفع مستوى جاهزيته القتالية.

المراجع:

1. جينيفر ميدكالف، حلف الناتو، ترجمة: قسم الترجمة بدار الفاروق، الجيزة، دار الفاروق للاستثمارات الثقافية، 2009.
2. هشام قدري، الدائمون الخمسة: مجلس الأمن بين هيمنة القوى الكبرى وفرص الإصلاح، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2024.
3. هشام قدري، العلاقات الدولية: موضوعات وقضايا مختارة، الإسكندرية، مكتبة الوفاء القانونية، 2024.
4. NATO 2022 strategic concept. Available on:

https://www.nato.int/nato_static_fl2014/assets/pdf/2022/6/pdf/290622-strategic-concept.pdf

لِدولةٍ فاعلةٍ ومجتمعٍ مُشارِك

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org